أسباب البدع

ومضارها

للشيخ الجليل
محمود شلتوت
شيخ الأزهر - سابقاً

تحقيق
عبد الآخر حماد



دار الجيل
بيروت


Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)


أسباب البدع
ومضارها



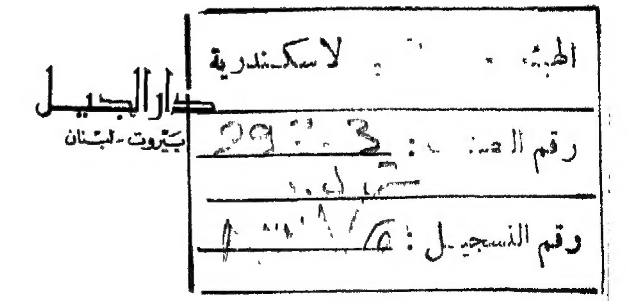




أسباب البدع ومضارها

للشيخ الجليل
محمود شلتوت
شيخ الأزهر - سابقاً

تحقيق
عبد الآخر حماد



دار الجيل
بيروت - لبنان

١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

أما بعد : فان أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

وبعد :

* فان الله قد أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، وأتم الله نوره وأكمل هذا الدين « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » [المائدة ٣] فما قبض الله رسوله صلى

الله عليه وسلم حتى أقام به الملة العوجاء : بأن قال الناس لا اله الله ففتح به قلوبا غلفا وآذانا صما وأعينا عميا •

※ وما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم بابا من الخير الا وأمرنا به ولا بابا من الشر الا ونهانا عنه : فكان مما نهى عنه صلى الله عليه وسلم الابتداع فى الدين واتباع مستحدثات الأمور فهو القائل : « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » متفق عليه •

وهو القائل : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة » رواه أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح •

وروى البخارى فى صحيحه (٦٥٧٦) عن عبد الله رضى عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : أنا فرطكم على الحوض ويدفعن رجال منكم ثم ليختلجن دونى فأقول : يارب أصحابى فيقال انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك » •

* ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان صحابته للعهد حافظين لكن وقعت فى أواخر عصرهم الفتن فكانت عاملا رئيسيا فى ظهور البدع :

قال ابن أبى العز[1] رحمه الله « هذه البدع المتقابلة حدثت من الفتن المفرقة بين الأمة كما ذكر البخارى فى صحيحه عن سعيد بن المسيب قال : وقعت الفتنة الأولى (يعنى مقتل عثمان) فلم تبق من أصحاب بدر أحدا ، ثم وقعت الفتنة الثانية فلم تبق من أصحاب الحديبية أحدا ثم وقعت الثالثة فلم ترتفع وللناس طباخ - أى عقل وقوة.

فالخوارج والشيعة حدثوا فى الفتنة الأولى والقدرية والمرجئة فى الفتنة الثانية والجهمية ونحوهم بعد الفتنة الثالثة فصار هؤلاء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يقابلون البدعة بالبدعة : أولئك غلوا فى على وأولئك كفروه ، وأولئك غلوا فى الوعيد حتى خلدوا بعض المؤمنين ،

---

(١) شارح العقيدة الطحاوية .

وأولئك غلوا فى الوعد حتى نفوا بعض الوعيد ــ أعنى المرجئة ......»(٢) .

* وازاء ذلك كله وقف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يذودون عن الحق الذى أخذوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ــ أخرج الدرامى أن أبا موسى الأشعرى قال لابن مسعود : انى رأيت فى المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة فى كل حلقة رجل وفى أيديهم حصى ، فيقول كبروا مائة فيكبرون مائة فيقول هللوا مائة فيهللون مائة فيقول: سبحوا مائة فيسبحون مائة . قال أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم ألا يضيع من حسناتهم شيء . ثم أتى حلقة من تلك الحلق .

فوقف عليهم فقال : ما هذا الذى أراكم تصنعون ؟

---

(٢) شرح الطحاوية ــ ص ٥٢٩

قـالوا : يا أبا عبد الرحمن حصى نعـد به التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد . قال فعدوا سيئاتكم فأنا ضـامن من أن لا يضيع من حسـناتكم شيء . ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم ، هؤلاء أصحابه متوافرون. وهذه ثيابه لم تبل ، وآنيته لم تكسر . والذى نفسى بيده انكم لعلى ملة هى أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضـلالة !

قالوا : والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا الا الخير . قال وكم من مريد للخير لن يصيبه ...»[٣] الحديث .

— وروى الدرامى أيضا عن عبد الله بن مسـعود قال : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتكم »[٤] .

---

(٣) قال الألبانى فى تخريجه لأحاديث كتاب اصلاح المساجد للقاسمى : اسناده صحيح .

(٤) صححه الألبانى أيضا فى المصدر السابق .

— وعن ابن عمر قال : « كل بدعة ضلالة وان رآها الناس حسنة »[٥] .

* ثم جاء عصر التابعين ومن بعدهم وزادت البدع وانتشرت فقام أهـل الحق يحذرون من البـدع وأهلها ويلقون فى سبيل ذلك ما يلقون .

— جاء فى مقـدمة صحيح مسلم عن ابن سـيرين رحمه الله أنه قال : « لم يكونوا يسألون عن الاسناد فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم فينظر الى أهـل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر الى أهل البدع فلا يؤخـذ حديثهم » .

— وخرج ابن وهب عن أبى ادريس الخولانى أنه قال : « لأن أرى فى المسجد نارا لا أستطيع اطفاءها أحب

---

(٥) قال الألبانى : صحيح الأستاذ المصدر السابق.

الى من أن أرى فيه بدعة لا أستطيع تغييرها »[٦] .

— وعن الفضيل بن عياض : « اتبع طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين ، واياك وطريق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين »[٧] .

— وعن الحسن : « لا تجالس صاحب بدعة فانه يمرض قلبك »[٨] .

— وعن يحيى بن أبى كثير قال : « اذا لقيت صاحب بدعة فى طريق فخذ فى طريق آخر »[٩] .

— وعن ابن المبارك قال : « اعلم أخى أن الموت كرامة لكل مسلم لقى الله على السنة فانا لله وانا اليه راجعون ، فالى الله نشكو وحشتنا وذهاب الاخوان وقلة الأعوان وظهور البدع »[١٠] .

❋ وهكذا اشتد نكير السلف الصالح من الصحابة

---

(٦) ، (٧) ، (٨) ، (٩) ، (١٠) ، راجع هذه الآثار فى الاعتصام جـ١ ص ٥٧ وما بعدها .

ومن بعدهم على أهل البدع والأهواء وذلك لعلمهم ما فى طريق البدع من مخالفة لطريق الرسول صلى الله عليه وسلم ولعلمهم أن الزائد فى شرع الله ما ليس منه واقع فى أحد أمرين : فاما أنه يرى أن هذه الزيادة من الدين ولكن لم يبلغها الرسول صلى الله عليه وسلم فكأنه يتهم الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه خان الأمانة ولم يمتثل لأمر الله له « يا أيها النبى بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته » !!! ، واما أنه يرى أن هـذه الزيادة ليست من الدين لكنه يستحسنها فكأنه نصب من نفسه مشرعا يشرع لنفسه ما شاء .

فالأمر الأول فهمناه من قول الامام مالك رحمه الله:
« من ابتدع فى الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ...»(١١) .

والأمر الثانى فهمناه من قول الشافعى رحمه الله :
« من استحسن فقد شرع »(١٢) .

---

(١١) ، (١٢) ،سياتى هذان الأثران فى ثنايا البحث .

❊ وعلى ذلك كان من مهام أهل الحق فى كل زمان أن يحيوا السنة وأن يميتوا البدعة ومن أجـل ذلك كان العزم على اخراج هذه الرسالة للشيخ محمود شلتوت رحمه الله : والشيخ رحمه الله ــ على مالنا عليه من مآخذ فى بعض الأمور(١٣) ــ كان من أبرز الدعاة الى نبذ البـدع والخرافـات والعودة الى ما كان عليه الرسـول الكريم والسلف الصالح رضوان الله عليهم .

ــ ثم انه لا يخفى ما لهذه الرسالة من أثر طيب : من حيث ان الناس يثقون فى قول علماء الأزهر ويعتدون به : فنحن نقول لهم هـذا قول واحد من شـيوخ الأزهر يحارب البدع وينكرها ويبين الأدلة على ذلك فهلا اتبعتم قـوله ؟!

❊ بقيت نقطة أخيرة وهى أن كثـيرا من الدعاة

---

(١٣) تراجع اراؤه فى رفع المسيح ونزوله آخر الزمان فى كتاب الفتاوى له رحمه الله .

يعتبرون الحديث فى البدعة حديثا فى الأمور الخلافية التى ما يصح أن نثيرها على الناس وأن مهمتنا أن نجمع الناس لا أن نفرقهم .

ولهؤلاء نقول : ان ما ذكره العلماء من ترك الانكار فى الأمور الخلافية انما هو فى مسائل الأحكام التى كان لكل مجتهد فيها دليله الذى يستدل به ، وحتى فى هذه الحالة فقد استثنى النووى رحمه الله من ترك الانكار أن يكون الخلاف ضعيفا أما فى مسائل البدع التى أحدثها الناس ولم تكن على عصر السلف الصالح فما أدرى ماهو الخلاف المعتبر الذى لأجله نترك الانكار .

فمثلا هذه الأمور الشركية التى تحدث عند قبور من يعتقد فيهم الناس الولاية والصلاح من دعاء هؤلاء الموتى والطواف بقبورهم والنذر لهم والاعتقاد فى أنهم ينفعون أو يضرون . كل هذه الأمور ورد النهى عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل بجوازها واحد

من السلف ولا ذكر للعلماء خلاف فيها حتى تقول انهـا مسـائل خلافية .

فكيف نترك بيان الحق وتوضـيحه خوفا من ثورة العـامة وسخطهم ونحن نعلم أن رسـولنا صلى الله عليه وسلم يقول « من التمس رضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس »[١٤] .

فهذه أمور عقيدة أمور كفر وايمان لابد من بيانها للنـاس ولا يصح السكوت عليهـا بل السكوت عليهـا مخالفة لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان »[١٥] .

---

(١٤) رواه القضاعى فى مسند الشهاب وابن عساكر وقال الألبانى فى تخريج شرح الطحاوية : اسناده حسن .

(١٥) رواه مسلم .

وتقول لهؤلاء انه لابد أن يكون التجميع على عقيدة صحيحة ومنهج صحيح أما أن يكون التجميع لغرض التجميع فهذا ما لم نجد له سندا من كتاب ولا سنة ولا قول للسلف .

* لكن لا يفهم من ذلك أن دعوة الداعية يجب أن تكون منحصرة فى رد بعض البدع التى يحدثها الناس ويعتبر أن ذلك هو كل واجبه فالحق أن الدعوة لدين الله عز وجل تشمل الدعوة للاسلام كل الاسلام من عقيدة وشريعة وأخلاق فالاسلام أشمل من أن يكتفى المرء بجزئية فيه يرى أنها هى الدين .

ونعنى بذلك أنه فى الوقت الذى ندعوه فيه الى احياء السنن واماتة البدع يجب أن نعلم أنه مما يجب احياؤه أن يحكم الناس بشرع الله عز وجل وأن يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد فى سبيل الله عز وجل ..... وهكذا .

فكل أولئك من الاسلام بل كل ذلك يدخل فى احياء السنة واماتة البدعة والله تعالى أعلم بالصواب وهو الهادى الى سواء السـبيل .

كتبـه

عبد الآخر حماد محمد

اسيوط فى الثالث من رجب ١٤٠٦
الموافق ١٢ أبريل ١٩٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

روى[1] عن النبى صلى الله عليه وسلم كثير من الأحاديث الصحيحة تدور كلها حول التحذير من الابتداع،

---

(١) لفظة روى من صيغ التمريض لذا فانه يصدر بها الحديث الضعيف أو الموضوع ولا يصدر بها الحديث الصحيح كما نبه على ذلك علماء الحديث :

يقول ابن كثير فى اختصار علوم الحديث : « واذا عزوته - أى الضعيف - الى النبى صلى الله عليه وسلم من غير اسناد فلا تقل : قال صلى الله عليه وسلم كذا وكذا وما أشبه ذلك من الألفاظ الجازمة بل بصيغة التمريض وكذا فيما يشك فى صحته أيضا » .

ويقول العلامة أحمد شاكر فى شرح ذلك « من نقل حديثا صحيحا بغير اسناده ، وجب أن يذكره بصيغة الجزم فيقول مثلا قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقبح جدا أن يذكره بصيغة التمريض التى تشعر بضعف الحديث لئلا يقع فى نفس القارىء أو السامع أنه حديث غير صحيح» .

[راجع الباعث الحثيث ص ٧٦]

ومن أشهر تلك الأحاديث : « من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد »[١]. وترجع البدعة فى واقعها الى اختراع عبادة لم تكن معروفة عن النبى صلى الله عليه وسلم ولم يرد بها نقل صحيح ولا تدل عليها أدلة شرعية معتبرة ، فهى أولا خاصة بما يتعبد به . واذن فلا ابتداع فى العادات[٣] ولا فى الصناعات ولا فى وسائل الحياة العامة .

---

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضى الله عنها لكن اللفظ: « من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »
[البخارى « ٢٦٩٧ » ، مسلم : كتاب الأقضية : باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور] .

وفى رواية لمسلم « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » .

(٣) عرف الشاطبى فى الاعتصام البدعة بأنها « طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله سبحانه » .

قال : وهذا على رأى من لا يدخل العادات فى معنى البدعة وانما يخصها بالعبادات واما على رأى من أدخل الأعمال العادية فى معنى البدعة فيقول : « البدعة طريقة فى

الدين مخترعة تضاهى الشرعية يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية » .

[الاعتصام للشاطبى جـ١ ص ١٩]

ويظهر من التعريف الأخير أن أمور العادات قد تدخل فى معنى البدعة اذا قصد بها صاحبها اتخاذها دينا يعبد الله به .

ثم ان الشاطبى ذكر فى الجزء الثانى امكانية دخول العادات فى معنى البدع بأوضح من هذا فقال : « واما العادية فقد اقتضى النظر وقوع الخلاف فيها وامثلتها ظاهرة مما تقدم فى تقسيم البدع كالمكوس والمحدثة من المظالم وتقديم الجهال على العلماء فى الولايات العلمية وتولية المناصب الشريفة من ليس لها بأهل بطريق الوراثة واقامة صور الأئمة وولاة الأمور والقضاة » .

وذكر أمورا أخرى ثم قال « وأشباه ذلك من الأمور التى لم تكن فى الزمن الفاضل والسلف الصالح فانها أمور جرت فى الناس وكثر العمل بها وشاعت وذاعت فلحقت بالبدع وصارت كالعبادات المخترعة الجارية فى الأمة وهذا من الأدلة الدالة على ما قلنا ، واليه مال القرافى وشيخه ابن عبد السلام وذهب اليه بعض السلف .

[الاعتصام جـ٢ ص ٦٣]

تترتب عليه ، وشأن العاقل اذا عرف مضارا لحظة ما ، أن يجتهد فى ابعاد نفسه عنها ، ويجعل بينه وبين الوقوع فى أسبابها المفضية اليها وقاية تعصمه من الوقوع فيها .

ونعقد لذلك فصلان : أحدهما فى بيان الأسباب التى توقع فى الابتداع وفى انتشار البدع ، والأخرى فى بيان المضار التى تترتب على الابتداع والعمل بالبدعة .

الفصل الأول

فى أسباب الابتداع

لابد لكل شريعة يراد لها البقاء كاملة لا يعتريها نقص ، سليمة لا يلحقها تحريف ، من أن تعنى بمعرفة النوافذ التى يتسرب منها الخلل الى الشرائع فتسدها وتحكم غلقها ، وبخاصة اذا كانت هذه الشريعة قد جاءت على أساس من العموم لتنظم شعوبا تختلف ألسنتها ، وتتباين عاداتها ، وتتعدد دياناتها التى كانت عليها من قبل .

وهكذا فعل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى شريعته المطهرة ، فقدر وهو فى أول مراحله ، عليه الصلاة والسلام ، المداخل التى يمكن أن ينفذ منها الخلل اليها وينتشر فنهى عنها ، وحذر منها وبالغ فى النكير على من حام حولها .

وقـد رأينا بعد الاسـتقراء أن المداخل الموقعة فى البدعة ، منها ما يوقع فى ابتداعها ، ومنها ما يوقع فى العمل بها وانتشارها وأن الشريعة عنيت بالأمرين وأشارت الى أسباب كل منهما ووضعت لهذه الأسـباب العلاج الذى لو أحسن استعماله لسلم الدين ونجت الأمة منها وظـل الدين نقيا سليما كما شرعه الله ، وكما بلغه رسوله ، ودرج عليه الأصحاب من بعده •

* * *

يرجع الابتداع الى أسباب ثلاثة :

(أ) الجهـل بمصادر الأحكام وبوسائل فهمها من مصـادرها •

(ب) متابعة الهوى فى الأحكام •

(ج) تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات •

الجهل بمصادر الأحكام وبوسائل فهمها :

مصادر الأحكام الشرعية كتاب الله وسنة رسوله ، وما ألحق بهما من الاجماع والقياس ، والأصل فى هـذه المصادر الذى يحكم على سائرها هـو كتاب الله وتليـه السنة ، ثم الاجماع ، ثم القياس ، والقياس لا يرجع اليه فى أحكام العبادات ؛ لأن من أركانه أن يكون الحكم فى الأصل معلولا بمعنى يوجد فى غيره ، ومبنى العبادة على التعبد المحض والابتلاء الخالص ومداخل الخلل الناشئة من هذه الجهة ، ترجع الى الجهل بالسنة ، والى الجهـل بمحل القياس ، والى الجهل بأساليب اللغة العربية ، والى الجهل بمرتبة القياس أما الجهل بالسنة فيشمل الجهـل بالأحاديث الصحيحة والجهل بمكان السنة من التشريع ، وقد يترتب على الأول اهدار الأحكام التى صحت بهـا أحاديث . كما يترتب على الثانى اهدار الأحاديث الصحيحة وعدم الأخذ بها . واحلال بدع مكانها لا يشهد لها أصل من التشريع ، وقد نبه على ذلك حديث « ان الله لا يقبض

العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا »(٤) وجاء فيه أيضا حديث « ما من نبي بعثه الله في أمته قبلي الا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون سنته ويقتدون بأمره ، ثم تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل »(٥) .

---

(٤) رواه البخاري (١٠٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه مرفوعا بلفظ « أن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى اذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤسا جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلو وأضلوا » . ورواه مسلم بنحوه [مسلم : كتاب العلم ، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن آخر الزمان] .

(٥) رواه مسلم باختلاف يسير في بعض الفاظه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه .
[كتاب الايمان : باب بيان كون النهي عن المنكر من الايمان]

وأما الجهل بمحل القياس فى التشريع ، فقد نشأ عنه أيضا أن قاس النـاس من متأخرى الفقهاء فى العبـادات وأثبتوا به فى الدين ما لم ترد به سنة ولا عمل ، مع توفر الحاجة الى عمله وعدم المانع منه، ومن ذلك اسقاط الصلاة، فان أصحابها قاسوها على فدية الصوم التى ورد النص بها، ولم يقفوا عند هذا الحكم بالجواز بل توسعوا فشرعوا لها من الحيل ما يجعلها صورة لا روح فيها ولا أثر لها •

والابتداع هنـا من أغرب أنواع الابتداع ، فهو ابتداع لأصل الحكم واحتيال لاسـقاط تكاليف الحكم المبتدع ، ثم اعتبار الأمرين البدعة والاحتيال فى اسقاطها من الدين ـ ويجدر بنا تسميته بالبدعة المركبة ـ يخرجان من عهدة التكليف ، ويترتب عليهما ثواب الله الذى أعده للذين آمنوا وعملوا الصالحات •

وهذا نوع خاص من البدعة :

وأما الجهل بأساليب اللغة العربية ، فقد نشأ عنه أن

فهمت بعض النصوص على غير وجهها وكان ذلك سببا فى احداث ما لا يعرفه الأولون ، ومن ذلك قول بعض الناس ان حديث « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على »[٦] بطلب الصلاة على النبى من المؤذن عقب الأذان ، ولم يطلب منه أن تكون بغير كيفية الأذان ، وهى الجهر ، فدل على مشروعيتها بالكيفية المعروفة ، ووجهوا دلالة الحديث على طلبها من المؤذن بأن الخطاب فى قوله صلى الله عليه وسلم لجميع المسلمين ، والمؤذن داخل فيهم، أو بأن قوله (اذا سمعتم) يتناوله لأنه يسمع نفسه ، وكلا التأويلين جهل بأساليب اللغة فى مثل هذا ، فصدر الحديث

---

(٦) رواه مسلم (كتاب الصلاة : باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة الله عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لى الوسيلة فانها منزلة فى الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل الله لى الوسيلة حلت له الشفاعة » .

لم يتناول المؤذن قطعا[٧] ، وآخره جاء على أوله فلا يتناوله أيضا • ومن ذلك أيضا ما يزعمه بعض آخر من أن المحرم من الخنزير لحمه دون شحمه ؛ لأن القرآن انما حرم اللحم دون الشحم ، وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن كلمة « اللحم » فى اللغة العربية تطلق على الشحم ولا عكس • ومنه أيضا قول بعض المتكلمين ان لله (جنبا) بدليل قوله تعالى «أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله» وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن العرب لا تعرف «الجنب» فى مثل هذا التركيب بمعنى العضو المعروف فهى تقول : هذا يصغر فى جنب ذاك تريد بالاضافة اليه • قال الامام الرازى فى تفسيره : « القائلون باثبات الأعضاء لله تعالى استدلوا على اثبات الجنب بهذه الآية ، واعلم أن دلائلنا على نفى الأعضاء قد كثرت فلا فائدة فى الاعادة : وبعد أن ساق المأثور عند المتقدمين عن المراد بالجنب

---

(٧) اذ أنه لو تناوله لكان المؤذن مطالبا بأن يقول مثلما قال فى الأذان أى يكرر الأذان مرة أخرى .

قال : واعلم أن الاكثار من هذه العبارات لا يفيد شرح الصدور وشفاء الغليل فنقول : الجنب سمى جنبا لأنه جانب من جوانب الشيء ، والشيء الذى يكون من لوازم الشيء وتوابعه يكون كأنه جانب من جوانبه . فما حصلت هذه المشابهة بين الجنب الذى هو العضو ، وبين ما يكون لازما للشيء وتابعا له صح الاطلاق ، ولا جرم من اطلاق لفظ الجنب على الحق والأمر بالطاعة قال الشاعر :

أما تتقين الله فى جنب وامق
له كبد حرى عليك تقطع

هذه جملة من الأمثلة يتضح بها كيف يأتى الابتداع من جهة الجهل باللغة العربية : مفرداتها وأساليبها ، وقد أجمع الأولون على أن معرفة ما يتوقف عليه فهم الكتاب والسنة من خصائص اللغة العربية شرط أساسى فى جواز الاجتهاد ومعالجة النصوص الشرعية والاقتراب منها .

وأما الجهل بمرتبة القياس فى مصادر انتشريع وهى التأخر عن السنة ، فقد ترتب عليه أن قاس قوم مع وجود سنة ثابتة وأبوا أن يرجعوا اليها فوقعوا فى البدعة ، والمتتبع لآراء الفقهاء يجد أمثلة كثيرة لهذا النوع ، وأقربها ما قاله البعض من قياس المؤذن على المستمع فى الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام عقب الآذان مع وجود السنة التركية التى قد علمت حكمها وأنها مقدمة على القياس ، ومع أن حديث « اذا سمعتم المؤذن » يدل بأسلوبه على اختصاص المستمعين بالصلاة عقب الآذان .

متابعة الهوى فى الأحكام :

قد يكون الناظر فى الأدلة ممن تملكهم الأهواء فتدفعه الى تقرير الحكم الذى يحقق غرضه ثم يأخذ فى تلمس الدليل الذى يعتمد عليه ويجادل به ، وهذا فى الواقع يجعل الهوى أصلا تحمل الأدلة عليه ويحكم به على الأدلة ، وهو قلب لقضية التشريع ، وافساد لغرض الشارع من نصب الأدلة . ومتابعة الهوى أصل الزيغ

عن سراط الله المستقيم « ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله »(٨) وقد جاء فى الصحيح (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به)(٩) والابتداع به يكثر عند أرباب المطامع فى خدمة الملوك والحصول على عرض الدنيا وحطامها ، ولعل أكثر الحيل التى نراها منسوبة الى الدين ـ والدين منها برىء ـ يرجع الى هذا ، ولا يبعد

---

(٨) القصص : ٥٠

(٩) رواه الحافظ ابن أبى عاصم فى كتاب السنة (١٥) من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا وذكره النووى فى الأربعين النووية (٤١) وقال : حديث حسن صحيح رويناه فى كتاب الحجة باسناد صحيح .

وذكر ابن رجب الحنبلى فى جامع العلوم والحكم أنه رواه أبو نعيم فى كتاب الأربعين والحافظ أبو بكر بن عاصم الأصبهانى ثم قال : تصحيح هذا الحديث بعيد جدا من وجوه ثم ذكر هذه الوجوه .

وقال الشيخ الألبانى فى تخريجه لكتاب السنة لابن أبى عاصم : اسناده ضعيف ، رجاله ثقات غير نعيم بن حماد ضعيف لكثرة خطئه وقد اتهمه بعضهم .

أن يكون منه الأذان السلطانى[١٠] ونحوه من البدع التى لم نرها الا فى صلاة الملوك والسلاطين ، وكذلك بدعة المحمل[١١] ، وبدعة الاجتماع لاحياء بعض الليالى وغير ذلك مما يغلب أن يكون رغبة لملك أو مشورة لمقرب اليه ،

---

(١٠) ذكر الشيخ على محفوظ فى كتاب « الابداع فى مضار الابتداع » أن أول من أحدث الأذان السلطانى هو هشام بن عبد الملك ، وهو الأذان الذى يؤذن فيه جماعة من المؤذنين معا وفى صوت واحد وفيه نوع تلحين وتغنى واخراج لكلمات الأذان عن أوضاعها العربية .

[راجع الابداع ص ١٧٦ طبعة الاعتصام]

(١١) بدعة المحمل : هى كسوة الكعبة الشريفة كانت تقدمها مصر كل عام للكعبة فكان يقترن بها الكثير من المظاهر البدعية والاحتفالات غير الشرعية .

ويبدو أن هذا الأمر لم يكن خاصا بمصر فقد ذكره الامام جمال الدين القاسمى وهو من علماء الشام فى أوائل القرن الماضى ـ الرابع عشر الهجرى ـ فى كتابه « اصلاح المساجد من البدع والعوائد » .

وذكر أن من البدع « ازدحام المتفرجين على المحمل فى بعض المساجد » .

[اصلاح المساجد ص ٢٤٢]

ثم توارثتها الأجيال ، وعمت الجماهير ، وصارت عندهم دينا ينكرون على من أنكره ٠

والمبتدعون بمتابعة الهوى ينتسبون بهذه الخطة السيئة الى أولئك الذين قال الله فيهم « ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا واياى فاتقون »(١٢) ٠ « ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ٠ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ٠ ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق ، وان الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد »(١٣) والواقع أنه بمتابعة الهوى تكتسح الأديان ويقتل كل خير ، والابتداع به أشد

---

(١٢) البقرة : ٤١

(١٣) البقرة : ١٧٤ : ١٧٦

أنواع الابتداع اثما عنـد الله وأعظم جرما على الحق .
فكم حرف الهوى من شرائع ، وبدل من ديانات ، وأوقع
الانسان فى ضلال مبين .

تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات :

ان الله جعل للعقول حدا تنتهى فى الادراك اليـه ،
ولم يجعل لها سبيلا الى ادراك كل شيء ، فمن الأشـياء
مالا يصل العقل اليه بحال . ومنها ما يصل الى ظاهر منه
دون اكتناه . وهى مع هذا القصور الذاتى لا تكاد تتفق
فى فهم الحقائق التى أمكن لها ادراكها ، فان قوى الادراك
ووسائله تختلف عند النظار اختلافا كثيرا ، ولهـذا كان
لابد فيما لا سبيل للعقول الى ادراكه ، وفيما تختلف فيه
الأنظار ، من الرجوع الى مخبر صادق ، يضطر العقل أمام
معجزته الى تصديقه ، وليس ذلك سوى الرسول المؤيـد
من عند الله العليم بكل شيء ، الخبير بما خلق ، وعلى هذا
الأصل بعث الله رسله يبينون للنـاس ما يرضى خالقهم ،

ويضمن سعادتهم ويجعل لهم حظا وافرا فى خيرى الدنيا والآخرة .

وقد شذ عن هذا الأصل قوم رفعوا العقل عن مستواه الذى حدده الله ، وجعلوه حجة الله على عباده ، وحكموه فيما لا يدركه مما أنزل الله ، فرجعوا فى التشريع اليه وأنكروا فى النقل كل ما لم يعهد فى ادراكه ، ثم توسعوا فى ذلك وجعلوه أصلا فى التشريع الالهى ، واستباحوا بعقولهم فيه ما لم يأذن به الله ، وما لا نعلم أنه يرضى الله أو يغضبه ، ولقد أعانهم على الابتداع فى العبادات أنهم نظروا فيما أدركه العلماء من أسرار التشريع وحكمه ، وزعموا أن هذه الأسرار هى المقصودة لله فى تشريع الحكم، وأنها داعية اليه ، فشرعوا عبادات على مقتضى هذه الأسرار فى بعض تشريع الله .

وهذا هو الاستحسان الذى ذمه أصحاب الرسول وأئمة الهدى والدين ، وأنكروا على الآخذين به ومن ذلك

قول الشافعى : « الاستحسان تلذذ[١٤] ، ولو جاز لأحد الاستحسان فى الدين لجاز ذلك لأهل العقول من غير أهل العلم ، ولجاز أن يشرع فى الدين فى كل باب ، وأن يخرج كل أحد لنفسه شرعا » وقوله « ومن استحسن فقد شرع، ومعناه كما قال الريانى « أنه نصب من جهة نفسه شرعا غير الشرع ، وقد وقع كثير من الابتداع بهذا الطريق ، فبحكم العقل القاصر رد كثير من الأمور الغيبية التى صحت بها الأحاديث كالصراط والميزان ، وحشر الأجساد والنعيم والعذاب الجسمى ورؤية البارى وما الى ذلك مما لم يدركه العقل ولا ينهض على ادراكه .

وباستحسان العقل القاصر ترك العمل بكثير من الأحكام الشرعية جريا وراء أن غيرها أقوى منها فى تحصيل الغرض المقصود من التكليف ، وباستحسان العقل

---

(١٤) راجع الرسالة للامام الشافعى باب الاستحسان وقد عقد الشافعى فى « الأم » فصلا بعنوان « ابطال الاستحسان » .

القاصر زيدت عبادات وكيفيات ما كان يعرفها أشد الناس حرصا على التقرب من الله[١٥] .

هذا وكما يترتب الابتداع بتحسين الظن على عدم ادراك العقل أو على ظن أن الأسرار مسوغات للتشريع وداعية اليه ، يترتب أيضا على ارادة دفع منكر أو مخالفة لشرع ثابت فتستحسن بدعة يشتغل الناس بها عن مقارفة المنكر بزعم أن البدعة بمشروعية أصلها أولى من ارتكاب المنكر الصريح ، ومن ذلك قراءة القرآن بصوت مرتفع فى

---

(١٥) ومن ذلك ما يقوله بعض جهال المتصوفة من صلوات معينة فى أيام معينة يقصدون بذلك زيادة التقرب الى الله عز وجل ، مع أن الله عز وجل سمى الرهبانية بدعة فى قوله « ورهبانية ابتدعوها » وقد كان هؤلاء يقصدون بها زيادة التقرب الى الله بل قال بعض المفسرين : ان قوله تعالى « الا ابتغاء رضوان الله » راجع اليهم بمعنى انهم ما كانوا يقصدون بهذه الرهبانية الا ابتغاء رضوان الله ومع كل ذلك كان هذا الأمر بدعة .

[راجع ابن كثير تفسير سورة الحديد]

المسجد ، وقراءة الأدعية كذلك أمام الجنائز دفعا كما يقولون لتحدث الناس بكلام الدنيا فى المسجد والجنائز .

ومنه الابتداع بقصد الحصول على زيادة المثوبة عند الله ؛ ويظن أن طريق هذا تحميل النفس مشقة فى جنس ما يتعبد الله به ، وهذا تارة يكون بالحاق غير المشروع بالمشروع ؛ لأنه يزيد فى المقصود من التشريع ، ومن أمثلة ذلك التعبد بترك السحور لأنه يضاعف قهر النفس المقصود من مشروعية الصوم ، والتعبد بتحريم الزينة المباحة التى لم يحرمها الله لأنه يزيد فى الحكمة المقصودة من تحريم الذهب والحرير ، ومن هذا النوع اختيار أشد الأمرين على النفس عند تعارض الروايات مع أن المأثور عنه صلى الله عليه وسلم أنه ما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما[16] . وحين جميع أفعال النبى صلى الله عليه

---

(١٦) روى البخارى (٣٥٦٠) عن عائشة رضى الله عنها قالت « ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا أخذ أيسرهما مالم يكن اثما فان كان اثما كان أبعد

وسلم على التعبد الذى يجب فيه التأسى مع أن كثيرا منها عادى لا تعبد فيه ولا يطلب فيه التأسى(١٧) .

الناس عنه ، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها » .

(١٧) من المحدثات التى حدثت فى هذا العصر اعتبار التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمور العادات نوعا من التزيد أو التشدد ، مع أن حقيقة التزيد والتشدد هى التزام أمور لم ترد فى الشرع ، أما الاقتداء به صلى الله عليه وسلم فى ملبسه ومأكله ومشربه واشباه ذلك فانه أمر مطلوب ان لم يكن على جهة الفرضية فهو على جهة الاستحباب الذى يثاب المرء عليه .

يقول الشيخ ناصر الدين الألبانى فى تقديم مختصره لشمائل الترمذى : « اننى لأرجو مخلصا أن يكون هذا الكتاب هاديا للمسلمين جميعا الى التعرف على ما كان عليه نبينا صلى الله عليه وسلم من الخلق الكريم وما كان متحليا به من الشمائل الكريمة فيحملهم ذلك على الاهتداء بهديه والتخلق بأخلاقه والاقتباس من نوره فى زمن كاد كثير من المسلمين أن ينسوا قول الله تبارك وتعالى فيه لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم

الآخر وذكر الله كثيرا » وفيهم بعض الخاصة من بعض الدعاة وغيرهم الذين زهدوا عن الائتساء به صلى الله عليه وسلم فى كثير من هديه وأدبه كتواضعه فى لباسه وهديه فى طعامه وشرابه ونومه وصلاته وعبادته ، بل وجد فيهم من يزهد المتبعين لسنته فى اتباعه صلى الله عليه وسلم فى بعض ذلك كالأكل والشرب جالسا وتقصير الثياب الى ما فوق الكعبين ويعتبرون ذلك تشددا ومنفرا لغير المسلمين عن الاسلام » أ . هـ .

أقول : ثم انه كان من هدى سلفنا الصالح أنهم كانوا يتأسون به صلى الله عليه وسلم فى أموره العادية فقد روى البخارى (٥٣٨١) عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن خياطا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه . قـال أنس : فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيته يتتبع الدباء من حوالى القصعة . قال فلم أزل أحب الدباء من يومئذ » . ورواه مسلم مع اختلاف فى بعض ألفاظه فى كتـاب الأشربة .

قـال الامام ابن حجر فى فتح البارى فى شرح هـذا الحديث : « فيه الحرص علي التشبه بأهل الخير والاقتداء

الشارع كدوام الصيام والقيام والتبتل وترك التزوج والتزام السنن والآداب كالتزام الواجبات ، وقد جاء تحذير عن ذلك كله كما فى قوله عليه السلام : « ما بال قوم

بهم فى المطاعم وغيرها . وفيه فضيلة ظاهرة لأنس لاقتفائه أثر النبى صلى الله عليه وسلم حتى فى الأشياء الجبلية وكان يأخذ نفسه باتباعه فيها رضى الله عنه » أ . هـ .

وقال ابراهيم بن هانىء : اختفى عندى أحمد بن حنبل ثلاثة أيام ثم قال : اطلب لى موضعا حتى أتحول اليه . قلت لا آمن عليك يا ابا عبد الله . قال : اذا فعلت ذلك أفدتك فائدة من العلم . فطلبت له موضعا فلما خرج قال لى « اختفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الغار ثلاثة أيام ثم تحول . وليس ينبغى أن نتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الرخاء ونترك متابعته فى الشدة » . [من كتاب الامام الممتحن أحمد بن حنبل للبهى الخولى ص ١١ ، المجلس الأعلى للشئون الاسلامية] .

وبعد : فانه لا يصح بحال الانكار على من اراد ان يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم فى أموره العادية والمعيشية ولا يصح اعتبار من يفعل ذلك متشددا ولا مبتدعا والله أعلم .

يتنزهون عن الشيء أصنعه، فوالله انى لأعلمهم بالله وأشدهم خشية له »[١٨] ، وقوله عليه السلام : « لن يشاد الدين أحد الا غلبه »[١٩] وقوله : « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم »[٢٠] وقد رد النبى صلى الله عليه

---

(١٨) رواه البخارى (٧٣٠١) عن مسروق قال : قالت عائشة رضى الله عنها : صنع النبى صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه وتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فحمد الله واثنى عليه ثم قال : ما بال اقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه ؟ فوالله انى اعلمهم بالله واشدهم له خشية » .

(١٩) روى البخارى (٣٩) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة ».

(٢٠) روى ابن جرير الطبرى فى قصة بقرة بنى اسرائيل عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « لو اخذوا ادنى بقرة لاكتفوا بها ولكنهم شددوا فشدد عليهم » .
قال ابن كثير : اسناد صحيح .

وسلم على ابن عمر[٢١] والرهط الذين تقللوا عبادته صلى

(٢١) الذى فى الصحيحين أنه عبد الله بن عمرو بن العاص وليس عبد الله بن عمر .

روى البخارى (٥٠٥٢) عن عبد الله بن عمرو قال : « أنكحنى أبى امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته فيسألها عن بعلها ، فتقول : نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشا ولم يفتش لنا كنفا منذ أتيناه . فلما طال ذلك عليه ذكر للنبى صلى الله عليه وسلم فقال القنى به فلقيته بعد فقال : كيف تصوم ؟ قلت أصوم كل يوم ، قال وكيف تختم ؟ قلت كل ليلة ، قال صم فى كل شهر ثلاثة واقرأ القرآن فى كل شهر ، قال قلت : أطيق أكثر من ذلك قال : صم ثلاثة أيام فى الجمعة قال : قلت أطيق أكثر من ذلك قال : أفطر يومين وصم يوما ، قال قلت : أطيق أكثر من ذلك قال : صم أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وافطار يوم واقرأ فى كل سبع ليال مرة فليتنى قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذاك أنى كبرت وضعفت . فكان يقرأ على بعض أهله السبع من القرآن بالنهار والذى يقرؤه يعرضه من النهار ليكون أخف عليه بالليل ، واذا أراد أن يتقوى افطر أياما وأحصى وصام مثلهن ، كراهية أن يترك شيئا فارق النبى صلى الله عليه وسلم عليه » .

ورواه مسلم بنحوه [فى كتاب الصوم : باب النهى عن صوم الدهر] .

الله عليه وسلم وأرادوا مشاق الطاعات(٢٢) .

وقد غفل قوم عن هذه التحذيرات واخترعوا لأنفسهم عبادات أو كيفيات فى العبادات أو التزامات خاصة ، وعبدوا بها وعلموها لأتباعهم على أنها دين ودين قوى ، وجهلوا أن القرب من الله انما يكون بالتزام تشريع الله وأحكامه ، وأن وسائل التقرب اليه محصورة فيما شرعه

---

(٢٢) روى البخارى (٥٠٦٣) عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم فلما اخبروا عنها كأنهم تقالوها ، فقالوا واين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : اما انا فأنا اصلى الليل أبدا وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : انا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا .

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله انى لأخشاكم لله واتقاكم له لكنى أصوم وافطر واصلي وارقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

وبلغه عنه رسوله الأمين فوقعوا بذلك فى البدعة والمخالفة وحرموا ثواب العمل وكانوا من الآثمين •

هذه الأسباب التى أوردناها هنا للابتداع قد أحاط بأطرافها وجمع أصولها حديث: «يحمل هذا العلم فى كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف المغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين(٢٣)، فتحريف المغالين يشير الى التعصب والتشدد،

---

(٢٣) رواه العقيلى فى الضعفاء الكبير (١/٩ : ١٠) باسناده عن عبد الله بن عمرو وأبى هريرة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ... وساق الحديث بتمامة .

وساقه باسناده ايضا عن ابى امامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذكره واورده الهيثمى فى مجمع الزوائد (١/١٤) وقال : عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر: فذكره ورواه البزار وفيه عمرو بن خالد القرشى : كذبه يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ونسبه الى الوضع .

ــ قال السيوطى فى تدريب الراوى (١ / ٣٠٢ : ٣٠٣) رواه ابن عبد البر من طريق العقيلى .

ــ قال السيوطى : والحديث من الطريق الذى أورده مرسل أو معضل .

واتتحال المبطلين يشير الى تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات ومتابعة الهوى ، وتأويل الجاهلين يشير الى الجهل بمصادر الأحكام وبأساليب فهمها من مصادرها .

ـ وفى كتاب العلل للخلال أن أحمد سئل عن هذا الحديث فقيل له كأنه موضوع فقال لا بل هو صحيح . فقيل له ممن سمعته قال : من غير واحد قيل من هم ؟ قال حدثنى به مسكين الا أنه يقول عن معان عن القاسم بن عبد الرحمن ومعان لا بأس به .

ـ قال العراقى : وقد ورد هذا الحديث متصلا من رواية على وابن عمرو وجابر بن سمرة ، وأبى أمامة وأبى هريرة ، وكلها ضعيفة لا يثبت منها شىء وليس فيها شىء يقوى المرسل .

ـ وقال ابن عدى : ورواه الثقات عن الوليد بن مسلم عن ابراهيم العذرى ثنا الثقة من أصحابنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. فذكره .

ـ وقد ذكره ابن كثير فى البداية والنهاية [٥ / ٣٣٧] فقال عنه : هذا الحديث مرسل واسناده فيه ضعف والعجب أن ابن عبد البر صححه واحتج به على عدالة كل من حمل العلم » ا . هـ .

الأسباب المفضية الى ذيوع البدعة :

يرجع ذيوع البدعة وانتشارها بين الناس الى أمرين شديدى الخطر على سلامة الأديان من التحريف والزيادة والنقص :

أولهما : اعتقاد العصمة فى غير المعصوم •

والآخر : التهاون فى بيان الشريعة على الوجه الذى به نقلت عن الرسول صلى الله عليه وسلم •

وكثيرا ما ترى الأول فيمن ينتسبون الى طرق التصوف وأنهم يقرءون عن شيخ طريقتهم شيئا من الأحوال التى تنافى الأحكام الشرعية ، فيعتقدون أنها من التشريع الذى خص الله به عباده المقربين ، وأن شيخهم لا يفعل الا حقا ، ولا يقول الا صدقا ، والفقه للعموم وهذه طريقة الخصوص ، فيتبعونه فى كل ما يؤثر عنه من قول أو فعل على أنه الطريق المقرب الى الله الموصل الى رضاه •

وتراه أيضا فى أتباع الفقهاء يقرؤون عنهم فى كتبهم، ويعتقـدون عصمتهم من الزلل ، فيتمسكون بكل آرائهم وان وصلتهم الرواية الصحيحة عن رسول الله بخلاف رأى أئمتهم ، وقد أفرط الناس فى رفع مستوى العلماء ومؤلفى الكتب بالنسبة الى ما خلفوه من آراء وأحكام واعتقـد كل فريق أن رأى متبوعه هو الحق ، وقالوا : انه لو كان الدين غيره لما استقر على توالى العصور ، ولأنكره من قبلنا من الشيوخ والأئمة ، وأنه لا حق لنا فى التمسك بالحديث يروى بخلاف رأى الأئمة والمدون فى الكتب ، لأنهم أعلم منا بالحديث وبمعناه ، فلا شأن لنا به ولا يصح أن نعدل اليه ونترك ما ألفناه من العبادة وكيفيتها .

سرى ذلك فى عقائد الناس فعملوا بالبدعة وتركوا السـنة ، مبررين أعمالهم بكلمة مأثورة وضـعها أرباب الابتداع لتكون سبيلا الى ترويج بدعهم وهى « من قلد عالما لقى الله سالما » ، وقد فات هـؤلاء أن التقليد المباح المطلوب ، شرطه الاستشراف الى الحق ، والرجوع

اليه ببينة ، وأنه ما من أمام الا حـذر من الاتباع وترك الحديث اذا صح ، وفاتهم أن هذه الطريقة قد أنكرها الله فى كتابه الكريم على من جعل اتباع الآباء والأسـلاف أصلا فى الدين يرجع اليه دون سواه حتى ردوا برهـان الرسالة وحجة القرآن بقولهم : « انا وجـدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتـدون »(٢٤) وفاتهم أيضـا أن التعصب لرأى العلماء الى هذا الحد نوع من اتخاذ غـير الله ربا • وكان ذلك سـنة أتباع الأحبـار والرهبان ، « اتخـذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله »(٢٥) وفاتهم أن الاجماع الذى عد مصدرا من مصادر التشريع يجب اتباعه ، ويتصـل بهذا أيضـا الخطأ فى فهم معنى الاجماع الذى عد من مصادر التشريع الاسلامى ، فقـد يقع فى أفهام كثير من الناس أن عمل الجمهور وبخاصـة اذا أتفق توارثه عن أجيال سابقة ، وعم العمل به جميـع

---

(٢٤) الزخرف : ٢٣

(٢٥) التـوبة : ٣١

الطبقات فى المساجد والمجتمعات وأندية العلماء من اجماع الأمة التى ورد أنها لا تجتمع على ضــلالة ، فلا يجــوز مخالفته ولو ظهر ما يخالفه ، ومن هنــا يشتد تمسكهم بالبدع بل بالمحرمات بحجة أنها أشياء مأثورة وقد رآهــا العلماء وخالطوا أهلها ولم ينكروها ، فدل على أنها الشرع وغيرها الضلال المبين ، وقد انتشر عن هذا الطريق كثــير من بدع المساجد والموالد واحياء الليالى والاستئجار على الختمات والتهاليل والتسابيح الى غير ذلك مما هو معروف بأنه دين والدين منه برىء .

أما الثانى وهو تهاون العلماء فى بيان الشريعة فاثمه على العلماء الذين أخذ الله عليهم العهد والميثاق أن يبينوا للناس ما نزل اليهم[٢٦] ، وقد أهمل جمهور العلمــاء من

---

(٢٦) يقول عز وجل : « واذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون » .
آل عمران : ١٨٧

زمن بعيد هذا الواجب الديني العظيم الذي يتوقف عليه بقاء الشريعة سليمة نقية من الأدران ـ أهملوه ـ اما ضعفا وخوفا من تألب العامة وغضب الخاصة ، واما مجاملة للعظماء والحكام ، واما تهاونا بأصل الواجب وجريا على قاعدة « دع الخلق للخالق » التي يبررون بها احجامهم عن البيان ، واما تواكلا نظرا الى أن البيان واجب كفائي قيام البعض به يسقط وجوبه عن الباقين .

ولما سكت العلماء وألف الناس منهم ذلك السكوت عن كل ما يفعلون ظن العامة أن ما يفعلونه دين وشرع ، وربما جاراهم بحكم الالف والعادة العلماء لهم فيما يفعلون وبذلك صار ردهم عما ألفوا من البدع الى ما تركوا من السنن شاقا على من يحاوله ؛ لأنهم يرونه احداثا جديدا في الدين لم يعرفوه فلا حول ولا قوة الا بالله[27] .

---

(٢٧) عن حذيفة رضي الله عنه انه أخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر ثم قال لأصحابه : هل ترون

ولقد كان للعلماء من تحذير الله ، ترك البيان واهمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ما يدفع بهم الى مكافحة البدع كلما ذر قرنها ، والعمل على حفظ السنن كلما هبت عليها ريح عاصفه ، ونرجو أن يكون عن هـــذا ما ينبهنا الى واجبنـــا وينقذنا من هول ما نحن فيه ، هدانا الله الى صراطه المستقيم .

ما بين هذين الحجرين من النور ؟ قالوا يا أبا عبد الله ما نرى بينهما من النور الا قليلا قال والذى نفسي بيـــده لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق الا قدر ما بين هذين الحجرين من النور والله لتفشون البدع حتى اذا ترك منها شيء قالوا تركت سنة » أ . هـ .

ذكره الشـــاطبي فى الاعتصـــام (١ / ٥٤) وعـــزاه لابن وضـــاح .

الفصل الثاني

فى مضار الابتداع

لو أن مضار الابتداع تقف عند المبتدع ولا تتعداه الى غيره لهان الأمر وسهل الخطب ؛ ولكن مضار الابتداع منها ما يصيب المبتدع ومنها ما يصيبه ويصيب أتباعه فى العمل بالبدعة ، ومنها ما يصيب الدين نفسه ، ومنها ما يصيب الأمة التى وقع الابتداع فى دينها •

أما ما يصيب المبتدع فهو اغتصاب حق التشريع الذى لا يكون الا لله وحده • وذلك أن المبتدع يرى أن الناس مكلفون ببدعة ، ولذلك يقوم بالدعوة اليها والحث عليها • وهو من هذه الناحية يضع نفسه موضع المشرع الذى يتعبد الناس بأمره ونهيه ، وهذا بعينه اغتصاب حق التشريع الذى لا يكون الا لله ، قصده المبتدع أم لم يقصده •

وقد وقع فيه مشركو العرب كما وقع فيه الأحبار والرهبان من أهل الكتاب ، ونعى القرآن الكريم على الفريقين مسلكهم ، وقص علينا شيئا مما شرعه المشركون بغير حق . قال تعالى فى سورة الأنعام : « وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه ، سيجزيهم بما كانوا يفترون . وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وان يكن ميتة فهم فيه شركاء ، سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم »(٢٨) وقال تعالى فى

سورة النحل : « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون »(٢٩) .

وقد ورد فى تفسير قوله تعالى : « اتخذوا أحبارهم

---

(٢٨) الأنعام : ١٣٨ - ١٣٩

(٢٩) النحل : ١١٦

ورهبـانهم أربابا من دون الله »[٣٠] ، أنهم لم يكونـوا يعبدونهم ولكنهم كانوا يحلون ويحرمون[٣١] ، وهـذه

---

(٣٠) التـوبة : ٣١

(٣١) روى الامام أحمـد الترمذى وابن جرير من طرق عن عدى بن حاتم رضى الله عنه انه لمـا بلغته دعـوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فر الى الشام وكان قد تنصر فى الجاهلية فأسرت أخته وجماعة من قومه ثم من رسـول الله صلى الله عليـه وسلم على أخته واعطاها فرجعت الى أخيها فرغبته فى الاسلام وفى القدوم على رسول الله صـلى الله عليه وسلم فقدم عدى الى المدينة وكان رئيسـا فى قومه طىء وأبوه حاتم الطائى المتـهور بالكرم فتحدث النـاس بقدومه فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى عنق عدى صليب من فضة وهو يقرأ هذه الآية (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله) قال فقلت : انهم لم يعبدوهم فقـال « بلى انهم حرموا عليهم الحلال واحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم اياهم » الحديث .

وفى رواية الترمـذى (٣٠٩٥) : عن عدى بن حاتم قال : فذكر الحديث وفيه « وفى عنقي صليب من ذهب » وقال الترمذى : هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد السلام بن حرب ، وغطيف بن أعين ليس بمعروف فى الحـديث .

الربوبية هى ربوبية التشريع التى تتحقق باغتصاب حق التحليل والتحريم •

ولا شك أن مسلك المبتدع فى تحليل ما يحل وتحريم ما يحرم من غير سند شرعي ، وفى دعوة الناس الى بدعته هو بعينه مسلك هؤلاء الذين اغتصبوا لأنفسهم حق التشريع الذى لا يكون الا لله •

ولهذا كان المبتدع فى هذه الناحية واضعا نفسه موضع المغتصب لحق التشريع الذى لا يكون الا لله ، وواضعا نفسه موضع من يرى أن الحدود التى رسمها الله ليتقرب بها العباد اليه اما ناقصة وهو بابتداعه يستدرك ذلك النقص ، واما أن محمدا صلى الله عليه وسلم قصر فى التبليغ وحجز عن أمته بعض ما يقربها الى الله • وفى هذا المعنى قال الامام مالك رضى الله عنه : من ابتدع فى الاسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا صلى الله عليه وسلم خان الرسالة ، لأن الله يقول : « اليوم أكملت

لكم دينكم »[٣٢] فما لم يكن يومئذ دينا فلا يكون اليوم دينا[٣٣] .

« وجاء فى كتاب عمر بن عبد العزيز الى عدى ابن أرطأة عليك بالسنة فان السنة انما سنها من قد عرف ما فى خلافها من الخطأ والزلل والحمق ، فارض لنفسك بما رضى به القوم لأنفسهم فانهم على علم وتقوى »[٣٤] .

---

(٣٢) المائدة : ٣

(٣٣) أورد هذا القول الامام الشاطبى فى الاعتصام من رواية ابن الماجشون عن مالك رحمه الله .

[الاعتصام ١ / ٢٨]

(٣٤) أورد هذا الأثر أيضا الامام الشاطبى فى الاعتصام حيث ذكر أن عدى بن أرطاة كتب الى عمر بن عبد العزيز يستشيره فى بعض القدرية فكتب اليه : اما بعد فانى أوصيك بتقوى الله والاقتصاد فى أمره واتباع سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وترك ما أحدث المحدثون فيما قد جرت به سنته وكفوا مؤنته فعليك بلزوم السنة فان السنة انما سنها من قد عرف ما فى خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق فارض لنفسك بما رضى به القوم لأنفسهم

فاذا كان المبتدع يرى أن ابتداعه لم يكن الا لخير الناس فى دينهم فما أجدره بالحزن العميق على نفسه بموقفه من البدعة التى عرف الشارع ما فيها من خطأ وزلل وحمق .

واذا كان الابتداع يتضمن هذا الوضع السىء من هاتين الناحيتين : « اغتصاب حق الله فى التشريع ، والوقوف من التشريع موقف من يعتقد فيه النقص وعدم التمام ، » فانه من جهة ثالثة يوقع الناس فى اعتقاد ان ما ليس من الدين دين ، وهو من التلبيس الذى آضل به

فانهم على علم وقفوا وببصر نافذ قد كفوا ، وهم كانوا على كشف الأمور اقوى وبفضل كانوا فيه أحرى فلئن قلتم أمر حدث بعدهم ما أحدثه بعدهم الا من اتبع غير سننهم ، ورغب بنفسه عنهم ، انهم لهم السابقون فاتمد تكلموا منه بما يكفى ، ووصفوا منه ما يشفى فما دونهم مقصر وما فوقهم محسر ، لقد قصد عنهم آخرون فقلوا وانهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم » .

(المصدر السابق ١ / ٢٩)

كثيرا من أهل الكتاب وصرفوا به كثيرا من الناس عن سبيل الهدى والرشاد : « يا أهـل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون »[٣٥] ، « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هـدى ولا كتاب منير ، ثانى عطفه ليضل عن سـبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ، ذلك مما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد »[٣٦] .

ومن هنا كان المبتدع ضالا عليه وزر عمله ، ومضلا عليه أوزار الذين اتبعوه فى بدعته . قال تعالى : « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيـامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم »[٣٧] وفى الصـحيحين (ومن سن سنة سـيئة

---

(٣٥) آل عمران : ٧١

(٣٦) الحـج : ٨ — ١٠

(٣٧) النحـل : ٢٥

كان عليه وزرها ووزر من عمل بها)(٣٨) وقد أشـار الى

---

(٣٨) الحديث لم أجده فى البخارى ورواه مسلم (كتاب الزكاة : باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة) : عن أبى عمرو جرير بن عبد الله رضى الله عنـه قال كنـا فى صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه قوم عراه مجتابى النمار أو العباء منقلدى السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر ، فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لمـا رأى بهم من الفـاقة فدخل ثم خرج فأمر بلالا فاذن وأقام فصلى ثم خطب فقال : « ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ... الى آخر الآية ان الله كان عليكم رقيبا » والآية الأخرى التى فى الحشر « اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد » تصـدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال : ولو بشـق تمرة فجاء رجل من الأنصـار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله صلى الله عليـه وسلم : « من سن فى الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شىء » .

ذلك الحديث (وما من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الأول كفل منها لأنه أول من سن القتل)(٣٩) وفيه دلالة واضحة على أن من سن ما لا يرضاه الله ورسوله فهو كابن آدم الأول فى تحمل قتل النفس التى تقتل ظلما لأن الاثم لم يتعلق بالقتل لخصوص كونه قتلا وانما لأنه عمل ما لا يرضاه الله وسن سنة لا يقرها الدين واذا غاب عن المبتدع شىء من هذه المضار التى تحوم حول العقيدة وتوشك أن تمسها فانه لا يغيب عنه أنه بابتداعه يعمل على اماتة السنن ، فقد ثبت ان من السنة ترك البدعة فلا يمكن اقامة احداهما مع العمل بالأخرى ، وقد جاء عن

---

(٣٩) رواه البخارى (٧٣٢١) من حديث ابن مسعود مرفوعا بلفظ :

« ليس من نفس تقتل ظلما الا كان على ابن آدم الأول كفل منها ــ وربما قال سفيان ــ من دمها لأنه سن القتل أولا » .

وروى مسلم نحوه (كتاب القسامة . باب بيان اثم من سن القتل) .

حذيفة رضى الله عنه أنه أخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر ثم قال لأصحابه : هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور ؟ قالوا يا أبا عبد الله ، ما نرى بينهما الا قليلا ، قال : والذى نفسى بيده لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق الا قدر ما بين هذين الحجريين من النور[٤٠] . وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : ما يأتى على الناس من عام الا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن[٤١] .

وبهذه المعانى التى تلزم الابتداع فى الدين صحت الأحاديث فى رد عمل المبتدع عليه وحرمانه من الثواب ، وقد ورد عن يحيى بن يحيى أنه ذكر الأعراف وأهله فتوجع

---

(٤٠) أورد هذا الأثر الشاطبى فى الاعتصام وعزاه لابن وضاح . [الاعتصام ص ١ / ٥٤]

(٤١) أورد هذا الأثر الشاطبى أيضا فى الاعتصام وعزاه لابن وضاح .

[المصدر السابق ١ / ٥٦]

واسترجع ثم قال : قوم أرادوا وجها من الخير فلم يصيبوه فقيل له : يا أبا محمد ، أفيرجى لهم مع ذلك لسعيهم ثواب؟ فقال : ليس فى خلاف السنة رجاء ثواب(٤٢) .

والوجه فيه ظاهر ، فان التقرب الى الله لا ينال الا بفعل ما شرع الله وعلى الوجه الذى شرعه ، أما ما لم يشرعه من وسائل التقرب اليه فانه لا يثيب عليه(٤٣) .

---

(٤٢) أورده الشاطبى وعزاه للمبسوطة .
[المصدر السابق ١ / ٨٣]

(٤٣) قد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية فى اقتضاء الصراط المستقيم ما يفيد أن أهل البدع قد يثابون على نيتهم ان كانت حسنة فهو يقول بعد كلام له عن الأعياد المبتدعة : « ... وكذلك ما يحدثه بعض الناس اما مضاهاة للنصارى فى ميلاد عيسى عليه السلام واما محبة للنبى صلى الله عليه وسلم وتعظيما له ، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد لا على البدع : من اتخاذ مولد النبى صلى الله عليه وسلم عيدا ... » .
[اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٩٤]

وصحت الأحاديث أيضا فى استحقاقه اللعنة وحرمانه من شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، قال عليه السلام: (من أحدث حدثا أو أوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين)[٤٤] قال الشاطبى فى الاعتصام ؛ « وقد

---

(٤٤) روى البخارى (٧٣٠٦) من حديث عاصم قال : قلت لانس : أحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ؟ قال نعم ما بين كذا الى كذا لا يقطع شجرها من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. قال عاصم فأخبرنى موسى بن انس انه قال : « أو آوى محدثا » .

وروى مسلم [كتاب الأضاحى : باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله] من حديث أبو الطفيل عامر بن واثلة قال : كنت عند على بن أبى طالب فأتاه رجل فقال : ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يسر اليك ؟ قال فغضب وقال : ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يسر الى شيئا يكتمه الناس غير أنه قد حدثنى بكلمات أربع قال : فما هن يا أمير المؤمنين ؟ قال : قال لعن الله من لعن والده ، ولعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من آوى محدثا ولعن الله من غير منار الأرض » .

اشترك صاحب البدعة فى اللعنة مع من كفر بعد ايمانه ، وقد شهد أن بعثة النبى صلى الله عليه وسلم لا شك فيها وجاءه الهدى من الله والبيان الشافى ، وذلك قوله تعالى : «كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا أن الرسول حق — الى قوله — أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ... » الخ(٤٥) .

واشترك أيضا مع من كتم ما أنزل الله وبينه فى كتابه وذلك قوله تعالى : « ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ... الخ »(٤٦) .

فتأملوا المعنى الذى أشرك المبتدع فيه مع هاتين الفرقتين ، وذلك مضادة الشارع فيما شرع ؛ لأن الله أنزل الكتاب وشرع الشرائع وبين الطريق للسالكين على غاية

---

(٤٥) آل عمران : ٨٦ — ٨٧

(٤٦) البقرة : ١٥٩

ما يمكن من البيان فضادها الكافر بأن جحدها جحدا ، وضادها كاتمها بنفس الكتمان ، لأن الشارع يبين ويظهر ، وهذا يكتم ، ويخفى ، وضاده المبتدع بأن وضع الوسيلة لترك ما بين واخفاء ما ظهر .

أما ما يصيب أتباع المبتدع فهو الحرمان من الثواب ، لأنهم يعبدون الله بالبدع التى لم يقرها دينا ولم يجعلها طريقا للعبادة ، ولأنهم يتركون بكل بدعة يعملونها سنة من السنن التى جاء بها الرسول وحث عليها . ولهم بذلك كفل من العمل فى هدم الدين عليه يجازون وبه يعاقبون ، وقد حكى الله لنا شيئا من عاقبة الأتباع الذين أخذوا بأباطيل المبتدعين ، وألقوا بأنفسهم فى أحضانهم ، وقد كان ميسورا لهم أن يعرفوا الحق من أهله وأن يرجعوا اليه ، قال تعالى فى سورة البقرة : « وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار »(٤٧) ،

---

(٤٧) البقرة : ١٦٧

وقال فى سورة الأحزاب : « يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول ، وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا »(٤٨) .

أما ما يصيب الدين نفسه من الابتداع فهو خفاء كثير من أحكامه وتشويه جماله . والأول سبب من أسباب اندراس الشرائع ، والثانى سبب من أسباب الاعراض عنها وعدم احترامها ، ويتجلى هذا فى بدع أهل الطرق وغيرها مما يصور الدين تصويرا يأباه ما للدين من جمال وجلال ، وكثيرا ما تنتشر البدع وتأخذ مكانة الدين فى النفوس وتصبح هى الدين المتبع عند الناس ، وبقدر ذيوعها يكون اندراس الدين ، وهذا هو الطريق الذى اندرست به الشرائع السابقة . وانحرف عنها المتدينون ، ولهذا نعى

---

(٤٨) الأحزاب : ٦٦ — ٦٨

القرآن الكريم على من حرفوا الكلم عن مواضعه وأخفوا كثيرا من الأحكام .

أما ما يصيب الأمة التى دخلت البدع فى دينها فهو القاء العداوة والبغضاء بين أهل الاسلام ، وذلك أن صاحب البدعة ينتصر لبدعته ، والسنة لابد لهـا من طائفة تبينها وتقوم عليها ، وبذلك تنقسم الأمة على نفسها وتصبح شيعا وأحزابا ، وقد يشتد الخصام بين الفرق فيقع بينهم التكفير واستحلال الدماء وتنقلب الأمة يضرب بعضها رقاب بعض، قالت عائشة : ألا ان نبيكم قد برىء ممن فرق دينه واحتزب[٤٩] وتلت قوله تعالى : « ان الذين فرقوا دينهم

---

(٤٩) قال الشاطبى فى الاعتصام : وعن الحسن قال خرج علينا عثمان بن عفان رضى الله عنه يوما يخطبنا فقطعوا عليه كلامه فتراموا بالبطحاء حتى جعلت ما أبصر اديم السماء : قال سمعنا صوتا من بعض حجر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فقيل هذا صوت أم المؤمنين قال فسمعتها وهي تقول : الا ان نبيكم قد برىء ممن فرق دينه واحتزب وتلت : « ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء » .

وكانوا شيعا لست منهم فى شيء ، انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون »(٥٠) .

وقد جاء فى الوصايا العشر بآخر سورة الأنعام قوله تعالى : «وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »(٥١) .

وروى أحمد والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما ، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال : وهذه السبل ليس فيها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه ،

قال القاضى : اسماعيل : أحسبه يعنى بقوله أم المؤمنين أم سلمة ان ذلك قد ذكر فى بعض الحديث وقد كانت عائشة فى ذلك الوقت حاجة » أ . هـ .
[الاعتصام ١ / ٣٨]

(٥٠) الأنعام : ١٥٩

(٥١) الأنعام : ١٥٢

ثم قرأ « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »[٥٢] .

وقال تعالي : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات »[٥٣] .

---

(٥٢) روى الامام احمد (٤٦٥/١) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : خط رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا بيده ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيما » وخط عن يمينه وشماله ثم قال : هذه السبل ليس منها سبيل الا عليه شيطان يدعو اليه ثم قرأ « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

وفي رواية لأحمد (٣٩٧/٣) : هذا سبيل الله عز وجل

ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (١٧) .

قال الألباني في تخريج كتاب السنة : اسناده حسن رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير عاصم وهو ابن أبي النجود وهو حسن الحديث ، ومن طريقه أخرجه ابن نصر في السنة (٥) والحاكم (٣١٨/٢) وقال : صحيح الاسناد. ووافقه الذهبي أ . هـ من ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني ١ / ١٣ .

(٥٣) آل عمران : ١٠٥

وقد عنى القرآن كثـيرا بتحذير الأمة من التفرق والاختلاف لأنه الداء الوبيل الذى يسرع بالفناء الى الأمم .

وبعد فهـذا موجز للقول فى بيان الأضرار المترتبة على الابتداع نرجو أن يجد فيها المبتدعون ما يردعهم عن خطة الابتداع ، ويدفع بهم الى تعرف السنن والتمسك بهـا .

هدانا الله الى صراطه المستقيم ...

محمود شلتوت





